



الكرسي الرسولي

كلمة قداسة البابا فرنسيس

صلاة التبشير الملائكي

الثلاثاء 8 كانون الأول / ديسمبر 2020

عيد الحبل بلا دنس

ساحة القديس بطرس

[Multimedia]

أيها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

يحتفل العيد الليتورجيّ اليوم بإحدى عجائب تاريخ الخلاص: الحبل بلا دنس بمريم العذراء. لقد خلّصها المسيح هي أيضاً، ولكن بطريقة غير اعتيادية، لأن الله أراد ألاّ يطال بؤس الخطيئة أمّ ابنه منذ لحظة الحمل بها. وبالتالي، كانت مريم، طيلة حياتها الأرضية، خالية من أيّ خطيئة، كانت "ممتلئة نعمة" (لو 1، 28) كما دعاها الملاك، وعَمَلُ الروح القدس فيها كان فريداً، لكي تبقى دوماً في علاقتها الكاملة مع ابنها يسوع؛ لا بل كانت تلميذة يسوع: الأمّ والتلميذة. ولكنها لم تعرف الخطيئة.

يجعلنا القديس بولس نفهم، من خلال النشيد الرائع الذي يفتح الرسالة إلى أهل أفسس (را. 1، 3-6. 11-12)، أن الله قد خلق كلّ إنسان من أجل كمال القداسة، من أجل ذاك الجمال الذي تحلّت به السيّدة العذراء منذ البدء. والهدف الذي دُعينا إليه هو أيضاً بالنسبة لنا عطية من الله الذي -كما يقول القديس بولس الرسول- لقد "اختارنا فيه قبل إنشاء العالم لِنَكُون في نظره قِدِّيسين بلا عيب في المحبة" (آية 4)؛ لقد قَدَّرَ لنا مُنْذُ الْقَدَم أن يتبنّا (را. آية 5) في المسيح، حتى نتحرّر من الخطيئة بالكامل يوماً ما. هذه هي النعمة، إنها مجانيّة، إنها عطية من الله.

إنّ ما كان لمريم منذ البداية، سوف نناله في النهاية، بعد أن نجتاز "غسل" نعمة الله التي تطهّرنا. وما يفتح لنا باب الفردوس إنما هي نعمة الله التي نقبلها بأمانة. لقد اجتاز جميع القديسون والقديسات هذا الطريق. وحتى أكثر الناس براة كانوا مطبوعين بالخطيئة الأصليّة، وقاوموا عواقبها بكلّ قوَّتهم. لقد مرّوا عبر "الباب الضيق" الذي يؤدّي إلى الحياة (را. لو 13، 24). وأنتم، هل تعرفون مَنْ هو الأوّل الذي نوّكّد أنّه دخل الفردوس، هل تعرفون؟ هو "الصّ": أحد اللّصّين اللّذين صُلِّبا مع يسوع، والذي التفت صوبه قائلاً: "أذكرني يا يسوع إذا ما جئت في ملكوتك". فأجاب: "ستكون اليوم معي في الفردوس" (لو 23، 42-43). أيها الإخوة والأخوات، إن نعمة الله تُعطى للجميع. وكثير من الآخرين في هذه الأرض سيكونون أوّلين في السماء (را. مر 10، 31).

لكن علينا أن نتبّه. لا ينفع الدهاء: لا يجب أن نؤجّل باستمرار الفحص الجادّ لحياتنا، مستغلّين صبر الربّ-إنه صبور،

ويبتظرنا، وهو حاضر على الدوام لكي يمنحنا النعمة-. من جهتنا يمكننا أن نخدع البشر، لكن لا نستطيع أن نخدع الله، فهو يعرف قلوبنا أفضل منا. لنستفيد من اللحظة الحالية! هذا هو المعنى المسيحي للاستفادة من الحاضر: لا يعني "الاستمتاع بالحياة في اللحظة العابرة، كلاً، فهذا المعنى هو المعنى الدنيوي. بل أن نغتيم فرصة اليوم حتى نقول "لا" للشر و "نعم" لله؛ ونفتح على نعمته. ونكفّ أخيراً عن الانغلاق على ذاتنا وعن الاستمرار بالنفاق. فلنواجه واقعنا، كما نحن؛ ونعترف بأننا لم نحبّ الله ولم نحبّ القريب كما ينبغي، أن نعترف به. فهذا ما يعني أن نبدأ مسيرة ارتداد ونطلب الغفران من الله أولاً في سرّ المصالحة، ثم نعوّض عن الشر الذي صنعناه للآخرين. ولكن عبر الانفتاح على النعمة دومًا. إن الربّ يقرع بابنا، ويقرع باب قلبنا لكي ينشئ علاقة صداقة وشركة معنا، ولكي يمنحنا الخلاص.

وهذا، هو الطريق بالنسبة لنا حتى نصبح "قديسين ودون عيب". إن الجمال الطاهر الذي يميّز أمّا مريم لا يُضاهى، ولكنه في الوقت عينه يجذبنا. لنعهد بأنفسنا لها، ولنقل بشكل نهائيّ "لا" للشر و "نعم" للنعمة.

صلاة التبشير الملائكي

بعد صلاة التبشير الملائكي

أيها الإخوة والأخوات الأعزّاء،

يجدّد اليوم أعضاء الحركة الكاثوليكية الإيطالية عضويتهم في الرابطة. أوجّه إليهم تحياتي وأطيب تمنياتي بمسيرة مباركة. وأصليّ "حتى يُصوّر فيكم المسيح" -كما كتب القديس بولس- وأن تكونوا خميرة أخوة في بيئاتكم.

كما تعلمون، لن يتمّ بعد ظهر هذا اليوم التكريم التقليدي لسيّدة الحبل بلا دنس في ساحة إسبانيا PiazzadiSpagna، حتى تتجنّب مخاطر التجمّعات، كما أوصت به السلطات المدنيّة التي يجب أن نطيعها. لكن هذا لا يمنعنا من أن نقدّم لأمّا العذراء الزهور التي تفضّلها: الصلاة، والتوبة، والقلب المنفتح على النعمة. لقد ذهبْتُ باكراً هذا الصباح بشكل فرديّ إلى ساحة إسبانيا PiazzadiSpagna، ومن ثمّ إلى بازيليك السيّدة العذراء الكبرى Santa Maria Maggiore، حيث احتفلت بالقدّاس الإلهي.

أتمنّى للجميع عيداً مباركاً. من فضلكم، لا تنسوا أن تصلّوا من أجلي. غداً هنيئاً وإلى اللقاء!

© جميع الحقوق محفوظة – حاضرة الفاتيكان 2020